DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

تحليل الفلسفة التربوية عند جون ديوي وفق رؤية التجديد الفلسفي المعاصر للتربية والتعليم

إيمان خلف مهدي
معهد الفنون الجميلة للبنين
Corresponding author :dr.eman.k.mahdi@gmail.com
https://orcid.org/0009-0008-9547-5821
تاريخ استلام البحث: 2025/6/24
تاريخ قبول النشر: 2025/7/29 - تاريخ النشر 2025/12/30
FA/202512/29C/10/676

Creative Commons Attribution 4.0 International License
https://alfatehjournal.uodiyala.edu.iq/index.php/jfath/index
https://alfatehjournal.uodiyala.edu.iq/index.php/jfath/copyright

ملخص البحث

يهدف البحث إلى تحليل الفلسفة التربوية عند جون ديوي في ضوء رؤية التجديد الفلسفي المعاصر للتربية والتعليم، واستكشاف إمكانية تطبيق أفكاره في تحسين الأنظمة التعليمية الحديثة. ينطلق البحث من سؤال رئيسي: ما هو تحليل الفلسفة التربوية عند جون ديوي في ضوء رؤية التجديد الفلسفي المعاصر للتربية والتعليم؟ للإجابة عن هذا السؤال، يعتمد البحث على إطار نظري يتناول فلسفة التربية عند ديوي، حيث يتم استعراض مفهوم فلسفة التربية لديه، ومكانة فكره التربوي، وواقع المدرسة وآفاقها، وأسس عملية التعليم، والتوجيه الاجتماعي للتربية، بالإضافة إلى النقد الموجه له. تخلص الدراسة إلى أن فلسفة التربية عند جون ديوي أحدثت تحولًا جوهريًا في مجال التربية، خاصة في ظل التغيرات السريعة والتطورات التكنولوجية المعاصرة. قدم ديوي إطارًا فلسفيًا وتربويًا يمكن للنظم التعليمية العربية من خلاله التحرر من الأساليب التقليدية وتعزيز العقل الفردي والإرادة الحرة. يمكن للنظم التربوية العربية الاستفادة من أفكار ديوي، مع مراعاة الخصوصيات الثقافية والاجتماعية لكل بيئة، لتحقيق توازن بين الأصالة والمعاصرة. تتميز فلسفة ديوي بمرونتها وارتباطها الوثيق بالواقع الاجتماعي والثقافي، حيث تنبع أهداف التربية من احتياجات المتعلمين وخبراتهم الحياتية، مما يعزز النمو الشامل للفرد والمجتمع. تشمل هذه الأهداف الجوانب النفسية والاجتماعية والعلمية، مما يجعلها قادرة على التكيف مع التغيرات السريعة في العالم المعاصر. أوصى البحث بأنه من خلال بناء أهداف تربوية مرنة، وتعزيز دور المعلم كمرشد، وتمكين المتعلم من التفاعل النشط مع بيئته، وربط المادة الدراسية بالحياة العملية، يمكن للنظم التعليمية أن تتجاوز الممارسات التقليدية وتتبنى أساليب أكثر تطورًا وفعالية. مع مراعاة الخصوصيات

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

الثقافية والاجتماعية، يمكن لهذه الفلسفة أن تكون دليلًا نحو تحقيق تعليم أكثر ديمقراطية وشمولية.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة ـ الفلسفة التربوية.

An Analysis of John Dewey's Educational Philosophy According to the Contemporary Philosophical Renewal of Education

Iman Khalaf Mahdi
Institute of Fine Arts for Boys
Corresponding author : dr.eman.k.mahdi@gmail.com
https://orcid.org/0009-0008-9547-5821

Date of research submission :24/6/2025
Date of publication acceptance: 29/7/2025
Date of publication :30/12/2025
FA/202512/29C/10/676

Creative Commons Attribution 4.0 International License
https://alfatehjournal.uodiyala.edu.iq/index.php/jfath/index
https://alfatehjournal.uodiyala.edu.iq/index.php/jfath/copyright

Abstract

The research aims to analyze John Dewey's educational philosophy in light of the vision of contemporary philosophical renewal of education and teaching, and to explore the possibility of applying his ideas in improving modern educational systems. The research is based on a main question: What is the analysis of John Dewey's educational philosophy in light of the vision of contemporary philosophical renewal of education and teaching? To answer this question, the research relies on a theoretical framework that addresses Dewey's philosophy of education, where the concept of his philosophy of education, the status of his educational thought, the reality of the school and its prospects, the foundations of the educational process, and the social orientation of education are reviewed, in addition to the criticism directed at him. The study concludes that John Dewey's philosophy of education has brought about a fundamental transformation in the field of education, especially in light of the rapid changes and contemporary technological

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

developments. Dewey provided a philosophical and educational framework through which Arab educational systems can liberate themselves from traditional methods and enhance the individual mind and free will. Arab educational systems can benefit from Dewey's ideas, taking into account the cultural and social specificities of each environment, to achieve a balance between authenticity and modernity. Dewey's philosophy is characterized by its flexibility and close connection to social and cultural reality, as the goals of education stem from the needs of learners and their life experiences, which enhances the comprehensive growth of the individual and society. These goals include psychological, social and scientific aspects, making them able to adapt to the rapid changes in the contemporary world. The research recommended that by building flexible educational goals, enhancing the role of the teacher as a guide, enabling the learner to actively interact with his environment, and linking the subject matter to practical life, educational systems can go beyond traditional practices and adopt more advanced and effective methods. Taking into account cultural and social specificities, this philosophy can be a guide towards achieving more democratic and comprehensive education.

Keywords: Philosophy - Educational Philosophy.

مقدمة

لطالما كان تاريخ الفكر الفلسفي حافلًا بالعديد من المذاهب والاتجاهات الفلسفية المتنوعة، والتي كان لها تأثير عميق في صياغة العديد من النظريات والأطروحات الفكرية، حيث قامت هذه النظريات في جوهرها على التفاعل والصراع بين الأفكار، فيتم دحض الحجة بالحجة، وهي عملية لا تزال حتى يومنا هذا موضوع نقاش وجدل بين الفلاسفة والمفكرين، ويعد موضوع التربية من الموضوعات التي استحوذت على اهتمام العديد من الفلاسفة والمربين عبر العصور، لأنه يُعد أحد المحاور الرئيسية في الفكر الإنساني، حيث تُعتبر التربية ظاهرة اجتماعية تعكس مدى تقدم الحضارات وتُشير إلى مستوى رقيها.

لقد اختلفت الآراء حول ماهية التربية والقوانين التي تحكمها، مما أثار جدلًا واسعًا بين المدارس الفكرية، ومن ناحية أخرى عندما نتحدث عن التربية، يتبادر إلى الذهن مباشرة ذلك الكائن البشري المركب والمعقد، الذي يتأثر بشكل كبير ببيئته من خلال التغيرات التي تطرأ على سلوكه ونمط حياته، وإذا كانت التربية تحظى بهذه الأهمية البالغة، فإنها تُعتبر إذن الوسيلة الأساسية لتطور المجتمعات، حيث تعمل على تمكين الأفراد من مواجهة تحديات عصرهم بفاعلية.

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

وهنا يبرز اسم حقق شهرة واسعة في المجال الفلسفي بشكل عام، وفي المجال التربوي بشكل خاص، حتى أصبحت إسهاماته التربوية أكثر شهرة من إسهاماته الفلسفية الأخرى، إنه الفيلسوف الأمريكي البراغماتي جون ديوي (1859-1952)، الذي يُعد أحد أبرز رواد الفكر التربوي الحديث، فقد قدم ديوي نظرية تربوية ثورية، كان لها تأثير عميق على المنظومات التربوية حول العالم، حيث لا تكاد تخلو أي منظومة تربوية معاصرة من آثار أفكاره وتطبيقاته النظرية.

إن الفحص الدقيق لتاريخ الفلسفة يكشف عن حقيقة بالغة الأهمية، وهي أن الفلسفة تُعتبر بمثابة روح التربية، فمهما اختلفت أنواع الفلسفات واتجاهاتها، فإنها تعكس الواقع المعاش وتفاعلاته، حيث يُعد التفكير الفلسفي تأملًا فكريًا شاملاً يهدف إلى فهم الواقع وتفسيره، كما يسعى إلى تغييره بغية الارتقاء بالطبيعة الإنسانية، ولا يمكن تحقيق هذا الهدف إلا من خلال رؤية تربوية جادة ومتأنية، فالمتتبع لمراحل تطور الفكر الفلسفي، بدءًا من الحقبة اليونانية مرورًا بالفلسفات الوسيطة الإسلامية والمسيحية، ووصولًا إلى الفلسفات الحديثة والمعاصرة، يلاحظ بشكل واضح تماشي الأفكار التربوية مع الأوضاع الفكرية والسياسية والعلمية السائدة في كل عصر، وهذا يؤكد أن كل نظرة تربوية هي جزء لا يتجزأ من النظرية الفلسفية لكل فيلسوف، مما يُظهر العلاقة الوثيقة والضرورية بين الفلسفة والتربية.

من خلال هذه الحقيقة، يتضح أن أي محاولة لفهم التربية بعمق لابد أن تنطلق من إطار فلسفي شامل، فالتفكير الفلسفي يقدم الأسس النظرية التي تُبنى عليها الممارسات التربوية، مما يجعل العلاقة بينهما علاقة تكاملية لا غنى عنها في مسيرة تطور الفكر البشري، لذلك انطلق جون ديوي من الواقع الأمريكي وسعى إلى تقديم إصلاح عميق في مختلف مجالاته، حيث أدرك أن مشروع أي مجتمع والصورة التي يرغب في تجسيدها لنفسه تستلزم بالضرورة التأكيد على إصلاح أوضاعه الاجتماعية لضمان استمراريته وتطور أفراده، وقد أدرك ديوي أن هذا الإصلاح لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال التربية، فبدأ يبحث لها عن قاعدة فلسفية تُخرجها من نمطها التقليدي وتدفع بها إلى ما يتوافق مع التحولات التي شهدتها ولا تزال تشهدها الحياة في مختلف جوانبها.

شهد الواقع الأمريكي تحولات سياسية واجتماعية كبيرة مع بروز الثورة الأمريكية وظهور المفكرين السياسيين مثل توماس جيفرسون، الذي آمن بأفكار الثورات التنويرية في أوروبا القائمة على قيم الحرية والمساواة، ودعا إلى تغيير المجتمع الأمريكي وفقًا لتلك القيم، كان بمثابة الإطار الذي عمل ديوي ضمنه، وقد اقتنع ديوي بضرورة وضع فلسفة فعالة لبناء منظومة تربوية جديدة تُصلح المجتمع وتنشر بين أفراده مبادئ الديمقراطية والعدل والمساواة والحرية.

أسئلة البحث

في هذا السياق، يبرز سؤالان جوهريان:

1- ما هو تحليل الفلسفة التربوية عند جون ديوي في ضوء رؤية التجديد الفلسفي المعاصر للتربية والتعليم؟.

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

2- هل يمكن تطبيق أفكاره في تحسين الأنظمة التعليمية الحديثة؟

أهمية البحث

- يساعد البحث في إيضاح الأسس الفلسفية والتربوية التي قدمها جون ديوي، والتي لا تزال ذات تأثير كبير على النظريات التعليمية الحديثة.
- يقدم البحث لمحة مبسطة عن كيفية تطبيق أفكار ديوي في الأنظمة التعليمية المعاصرة، خاصة في ظل التحديات الجديدة مثل التكنولوجيا والعولمة.
- يكشف البحث عن دور التعليم في تعزيز القيم الاجتماعية، وهو ما يعد ضروريًا لبناء مجتمعات أكثر تكافؤًا وعدلاً.

هدف البحث

يهدف البحث إلى تحليل الفلسفة التربوية عند جون ديوي في ضوء رؤية التجديد الفلسفي المعاصر للتربية والتعليم، بهدف استكشاف إمكانية تطبيق أفكاره في تحسين الأنظمة التعليمية الحديثة.

مصطلحات البحث

- الفلسفة

الفلسفة هي النظرية العامة للتربية، حيث تعمل كأداة لفهم وتوجيه الممارسات التربوية، ومن خلالها يتم تحليل القيم والأهداف التربوية وربطها بالحياة العملية، مما يجعلها أساسًا لتطوير الأنظمة التعليمية وتحسينها (ديوي،1989، 67).

- الفلسفة التربوية

يعرفها (ديوي، 1986، 332) بأنها استخدام الطريقة الفلسفية في التفكير لمناقشة المسائل التربوية، حيث أن الفلسفة هي النظرية العامة للتربية.

- التجديد الفلسفي المعاصر

الجهود الفكرية التي تُبذل لإعادة صياغة الأسئلة والقضايا الفلسفية، أو تقديم إجابات جديدة ومغايرة لتلك التي طرحتها الفلسفات التقليدية، بحيث تُواكب التحولات المعرفية والعلمية والاجتماعية والسياسية التي يشهدها العالم في العصر الحديث (سمعان،1996، 71).

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي بوصفه الإطار المنهجي الأنسب لتحليل الفلسفة التربوية عند جون ديوي في ضوء رؤية التجديد الفلسفي المعاصر للتربية والتعليم. ويقوم هذا المنهج على جمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها وتفسيرها لفهم الظاهرة المدروسة، وهي هنا أفكار ديوي التربوية ومفاهيمه الأساسية كما عرضها في ثلاثة من أبرز مؤلفاته: كتابه "مدارس المستقبل"، وكتابه التربوي الرائد "الديمقراطية والتربية"، وكتابه "المدرسة والمجتمع". وقد تم اعتماد هذه المؤلفات الثلاثة لكونها تمثل المحاور الأساسية لفلسفة ديوي التربوية، ويهدف التحليل إلى

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

الكشف عن الأبعاد الفلسفية التي أسّس لها ديوي، ومدى انسجامها أو تجددها في إطار الرؤى المعاصرة للتجديد الفلسفي في التربية، ولا سيما من حيث ربط التعليم بالديمقراطية، وتفعيل البعد الاجتماعي للمدرسة، ودور الخبرة في بناء المنهج التربوي الحديث.

الإطار النظري للبحث

المبحث الأول: فلسفة التربية عند جون ديوي

1- مفهوم فلسفة التربية عند جون ديوي

يقر جون ديوي في كتابه "التربية والديمقراطية" بأنه عرض فلسفة التربية في الفصول الأولى من الكتاب دون أن يقدم لها تعريفًا واضحًا ومحددًا، وهذا الأمر دفعه إلى الاعتراف بأن البحث في فلسفة التربية يتطلب الوقوف على المسائل الفلسفية الأساسية المرتبطة بنظريات المعرفة والأخلاق، والتي تتجسد في مختلف المثل التربوية العليا، ففلسفة التربية في نظر ديوي لا تنفصل عن الأسس الفلسفية الأعمق التي تحكم الفكر الإنساني، بل هي انعكاس لتلك الأسس وتطبيق عملي لها في سياق تربوي (ديوي، 1986، 332).

يبرر جون ديوي مفهوم فلسفة التربية عنده بأنها استخدام الطريقة الفلسفية في التفكير لمناقشة المسائل التربوية، حيث يعتبر أن الفلسفة هي النظرية العامة للتربية، وهي من جهة أخرى نشاط منظم يتخذ من الفلسفة وسيلة لتحديد المنطلقات وتوضيح الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها، ويرى أن فيلسوف التربية هو بمثابة "المهندس الذي يخطط ويضع مخططاته انطلاقًا من حاجات المجتمع"، حيث يختلف إدراك حلول المشكلات الواقعية من شخص لآخر (ديوي، 1986، 336).

هذا المفهوم يوحي بعدم الفصل بين فلسفة التربية ونظرية التربية، بل يجعلهما وجهين لعملة واحدة، وهذا ما يفسر التداخل الذي وضعه ديوي بين التربية والفلسفة، حيث يؤكد أن "التربية كالفلسفة في صعوبة عزل أي مبحث من مباحثها ابتغاء البحث والمناقشة" (ديوي،1988، 65).

وعلى هذا الأساس، يمكننا إبراز مفهوم ديوي لفلسفة التربية من خلال تتبع العلاقة التي تربط الفلسفة بالتربية، ولذلك نبدأ بالبحث عن هذه العلاقة لفهم أبعادها وتأثيراتها على الفكر التربوي، حيث يُثبت التاريخ وجود علاقة وثيقة بين الفلسفة والتربية، حيث اعتمد رجال التربية على الفلسفة في تحديد ملامح نظرياتهم التربوية ومضامينها ومناهجها، فمثالية أفلاطون كان لها تأثير واضح على فكره التربوي، كما تأثرت التربية عند روسو بفلسفته الطبيعية، وبالمثل نجد تأثير الفلسفة البراغماتية والأداتية على الفكر التربوي عند جون ديوي (النجيحي،2002، 32).

لقد كان أفلاطون من أوضح الفلاسفة القدامى في التعبير عن العلاقة بين الفلسفة والتربية، حيث أولى لها عناية خاصة في جمهوريته، وربطها مباشرة بتوجهه الفلسفي، وكان لهذا أثر كبير على كل من جاء بعده، بما فيهم جون ديوي، الذي أقر بذلك بقوله: "إن الفلسفة الأوروبية عند الإغريق قد نشأت في ظل الحاجة الملحة إلى حل القضايا التربوية."، إلا أن الاختلاف في الرؤى الفلسفية بين الفلاسفة ينعكس

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

بشكل واضح على النظريات التربوية، فكل رجل تربية يأخذ من مجالات الفلسفة ما يساعده على تعليم الأطفال، حيث يستمد من القيم والمعرفة وغيرها ما يعزز قدرات الأفراد. وقد أصر جون ديوي على توثيق الصلة بين الفلسفة والتربية، معتبرًا أن التربية هي الكفيلة باختبار صحة المبادئ الفلسفية وتساعد على إصلاح المجتمع وتغييره. كما حمل ديوي على عاتقه مسايرة الإيقاع المتسارع لظروف الحياة، حيث حصر قيمة الفلسفة في تحديدها للمشكلات واقتراحها لطرق معالجتها (سمعان،1996، 89).

فالمذهب الفلسفي يسعى إلى إيجاد سبل التكيف الاجتماعي، ويعمل على تشخيص المشكلات التي تعترض الفرد في واقعه، ويبحث عن حلول لها انطلاقًا من الواقع المتغير، أما إذا بقيت الفلسفة في سياقها الفكري المجرد، فإنها تصبح مقتصرة على الفلاسفة دون غيرهم، وتبتعد عن الواقع، مما يشكل خطرًا على الفكر والإنسان والمجتمع، ويربط ديوي بشكل تام بين الفلسفة والتربية، حيث يقول في هذا المعنى: "وفي الحق أن كل نظرية فلسفية لا تؤدي إلى تبديل في العمل التربوي لابد أن تكون مصطنعة. ذلك بأن وجهة نظر التربية تعيننا على فهم المشاكل الفلسفية في منابتها التي نشأت فيها، أي في مواطنها الطبيعية حيث يؤدي قبولها أو رفضها إلى تبديل في الناحية العملية في التربية." (ديوي، 1986، 336).

من خلال دعوته إلى تقريب وتبيين معالم الترابط بين الفلسفة والتربية، يسعى ديوي إلى جعل الفلسفة تعين الفرد على فهم مشاكله الاجتماعية وتساعده على تجاوزها، وبذلك تصبح الفلسفة صياغة صريحة لمصالح الحياة المختلفة، وشرحًا لوجوه النظر والأساليب التي تكفل إيجاد التوازن بين هذه المصالح، ومن هنا يتبين لنا العلاقة الوطيدة بين النشاط الفلسفي النظري والنشاط التربوي العملي.

إن الترادف الذي وضعه جون ديوي بين الفلسفة والتربية يعود إلى اشتراكهما في وظيفة واحدة، حيث يقوم كلاهما على نفس المبادئ الأخلاقية ويحمل نفس الغايات الاجتماعية، هذا الترابط الوثيق أثر على العديد من فلاسفة التربية إلى درجة أن التمييز بين فلسفة التربية ونظرية التربية يكاد يختفي، إذ غالبًا ما يتم استخدامهما كمصطلحين يؤديان معنى واحدًا، فعندما اعتبر ديوي التربية عملية تكوين النزعات الفكرية والعاطفية في الإنسان تجاه الطبيعة وأخيه الإنسان، أراد أن يشير إلى أن تحقيق تربية سليمة للفرد يتطلب تجسيد النظرية التربوية في الواقع، هذه النظرية تتمثل في الأفكار ذات الصلة بالحقائق وواقع الحياة، والتي تكون قابلة للتحقيق حتى تصبح أفكارًا عملية، وإذا لم يتم ترجمة تلك النظرية إلى واقع، تبقى أفكارًا مجردة دون فائدة (ناصر،1997، 449).

وخلاصة القول إن هدف ديوي من ربط فلسفة التربية بواقع الحياة، وجعل النظريات التربوية أدوات لحل المشكلات الواقعية، هو إخراج التربية من طابعها الكلاسيكي الضيق إلى فضاء التقدم العلمي، بحيث تصبح التربية عملية ديناميكية متجددة تستجيب لمتغيرات العصر وتحدياته، فالتربية وفق هذا التصور ليست مجرد وسيلة لنقل المعارف التقليدية أو إعادة إنتاج القيم الاجتماعية فحسب، بل هي منظومة شاملة

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

تهدف إلى تمكين الفرد من التفكير النقدي، والإبداع، والمشاركة الفعالة في بناء مجتمع أكثر ديمقراطية وعدالة.

إن هذا الربط بين التربية والحياة يعكس فهم ديوي العميق لدور المدرسة كمؤسسة اجتماعية، إذ رأى أن المدرسة يجب أن تكون نموذجًا مصغرًا للحياة الاجتماعية، حيث يتعلم الطلاب من خلال التفاعل مع البيئة المحيطة، وتطوير مهاراتهم في التفكير وحل المشكلات عبر الممارسة الفعلية. وبالتالي، فإن التربية تصبح وسيلة لبناء مواطنين قادرين على مواجهة التحديات، والإسهام في تحقيق التقدم الإنساني، بما ينسجم مع قيم الديمقراطية والمساواة.

2- مكانة فكر جون ديوي التربوي

عندما منحت جامعة باريس الفيلسوف والمربي الأمريكي جون ديوي درجة الدكتوراه الفخرية عام 1930م، قالت عنه: "إنه يمثل أعمق وأكمل تعبير للعبقرية الأمريكية." يتجلى من خلال هذا القول مدى أهمية ديوي ودوره الفعال في الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية الأمريكية، فمن جهة كان له تأثير كبير في تطوير وتغيير المفاهيم الفكرية والسياسية التي نقلها الشعب الأمريكي من العالم القديم، ومن جهة أخرى، ارتبط اسم جون ديوي بالمذهب العملي أو البراغماتي أو مذهب الذرائع، وهو المذهب الفلسفي الذي بدأه قبله تشارلز ساندرز بيرس ووليام جيمس (ناصر،1997، 449).

ويُعد جون ديوي من أكبر رجال التربية والتعليم في العصر الحديث، حيث يقول: "إذا رضينا بفهم التربية على أنها عملية تكوين النزعات الأساسية الفكرية والعاطفية في الإنسان تجاه الطبيعة وأخيه الإنسان، فلن نخشى حينئذ تعريف الفلسفة بأنها النظرية العامة للتربية." (ديوي،1988، 69).

ويرى البعض أن أفضل ما كُتب في التربية في العصور القديمة كان لأفلاطون، بينما أفضل ما كُتب في العصور الحديثة كان كتاب "الديمقراطية والتربية" لديوي، كما أن ديوي يشترك مع أفلاطون في أن الفلاسفة هم تربويون ومعلمون بالمهنة، وأن من واجبهم دراسة الإنسان وتعليمه. وهذا دليل واضح على عمق تجربته التربوية، وإذا كان اهتمام ديوي بالمدرسة لم يقتصر على الجانب النظري، بل تعداه إلى الجانب التطبيقي، فهناك بعض الأفكار التي دعا إليها جون ديوي في عالم التربية والتعليم، والتي نرى صورتها في كتابه "المدرسة والمجتمع"، ولعل أول الأمور التي اهتم بها جون ديوي هي ربط المدرسة بالمجتمع، معتبرًا أن المدرسة جزء لا يتجزأ من المجتمع، وقد رأى أن دور المدرسة في المجتمع يتمثل في النظر إلى الثقافة بمعناها الواسع، أي بآدابها وعلومها وفنونها وعاداتها وجوانبها المادية، كما يرى ديوي أن عملية التربية والتعليم ليست مجرد إعداد للمستقبل، بل هي عملية حياة. وهذا يعني الاهتمام بحاضر المتعلم واعتبار ذلك محققًا لأهداف التربية الحاضرة والمستقبلية معًا (علي،2005، 93).

كذلك اهتم ديوي بالعمل كعملية تربوية، ودعا إلى ضرورة العناية بالأعمال اليدوية في المنهج المدرسي، كما أكد على مبدأ الفاعلية في الحصول على الخبرة والتعلم، ولا يبدو الاهتمام بالنواحي العملية غريبًا بالنسبة لمربٍ وفيلسوف براغماتي مثل

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

جون ديوي، فالتربية العملية بمختلف أشكالها هي التي ينبغي أن تكون لها الأسبقية في المنهج، مع العلم أن هذا الرأي طُبق بأشكال عدة في المدارس التي أخذت بتعاليم ديوي، ومن أبرز هذه الأشكال: (ديوي،2006، 13)

رفع مكانة الموضوعات العملية: حيث يتم النظر إليها على قدم المساواة مع الموضوعات النظرية التقليدية.

فكرة الفعالية في التربية: التي دعا إليها ديوي، وتجسدت فيما يُعرف بـ"طريقة المشروع". وخلاصة هذه الطريقة أن الدراسة تكون عملية تجريبية اختبارية.

تفضيل طريقة المشروع: التي تعتمد على التجربة والاكتشاف، بدلًا من طريقة الحفظ والتلقين الجاهزة في المناهج الدراسية.

ربط جون ديوي بين التربية والديمقراطية، ولعل عنوان كتابه التربوي الأول "الديمقراطية والتربية" خير ممثل لهذه النزعة، فالديمقراطية عنده ليست مجرد تطبيق سياسي لمفهوم قديم يعود إلى اليونان في العصور القديمة، بل هي أسلوب حياة. وهذا يعني أن المدرسة الديمقراطية هي مكان يعيش فيه المتعلمون والمعلمون والعاملون الآخرون كزملاء متعاونين لتحقيق أهداف مشتركة مثل المساواة بين الأفراد، والتكافل الاجتماعي، والعدالة، والحرية في الاعتقاد (ديوي،1986، 340).

لم تكن التربية التقليدية تهتم بإقامة عملية التربية على أسس التفكير العلمي السليم، بل كانت ترتكز على التحفيظ والتسميع، والتكرار والتقليد كأدوات رئيسية في العملية التعليمية. وقد أدى هذا النهج إلى آثار سلبية واضحة على سلوك التلاميذ، حيث أسهم في قتل روح الابتكار والإبداع لديهم، مما حولهم إلى أفراد غير قادرين على التفكير المستقل أو اتخاذ القرارات الفاعلة، ولقد أفرزت هذه الطريقة نمطًا من المواطنين الذين يعتمدون على التوجيه المباشر وينتظرون الأوامر لتنفيذها دون تفكير نقدي أو مبادرة ذاتية، وهذا النوع من التربية عرقل قدرة الأفراد على المساهمة في التقدم المجتمعي، حيث جعلهم يعيشون على فتات أفكار الآخرين، مما أدى إلى إعاقة التطور والإبداع في مجتمعاتهم (Sidney, 2010, 39).

إن هذه النتائج تؤكد ضرورة مراجعة الأسس التي تقوم عليها العملية التربوية التقليدية، والعمل على تبني أساليب تعليمية أكثر ارتباطًا بتنمية التفكير العلمي والإبداعي لدى الطلاب، بهدف إعداد أفراد قادرين على مواجهة تحديات الحياة والمساهمة في بناء مستقبل أفضل.

لقد تنبه جون ديوي إلى هذه الحقائق، فاعتنى بأمر التفكير وحاول إقامته على أسس من التجريب العلمي، وجعله عنصرًا أساسيًا في العملية التربوية، وذهب ديوي إلى أن التفكير ليس مجرد عملية عشوائية، بل هو محاولة تتم عن قصد ووعي بهدف الكشف عن أفعالنا وما يترتب عليها من نتائج، كما أكد أن التفكير ليس مجرد مرآة تعكس أحوال الواقع الموجود، بل هو عملية مشاركة يتم خلالها إعادة تنظيم وتجديد ظروف الواقع حتى تكون أكثر ملاءمة لتحقيق رغبات وأهداف الإنسان، والتمكن من السيطرة على البيئة (ديوي،2006، 29).

يتضح لنا إذن أن التفكير السليم ليس مجرد أفكار مجردة ونظرية، بل هو انخراط التلميذ بأفكاره السليمة في المجتمع. وبالتأكيد، سوف يحقق أهدافه وطموحاته وفق

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

تربية منظمة وجديدة، وإذا كان جون ديوي يسعى إلى رسم معالم تسير وفقها العملية التربوية.

3- واقع المدرسة وآفاقها عند جون ديوي

تتحد الروح الفردية والاجتماعية في رؤية جون ديوي، حيث يؤكد أن المجتمع لا يمكن أن يكون صادقًا مع نفسه إلا إذا كان يتيح فرص النمو المتكامل لجميع أفراده، وفي هذا السياق تحتل المدرسة مكانة مركزية ورفيعة في فكر ديوي، حيث ينظر إليها كوسيلة أساسية لتحقيق التقدم الاجتماعي، تُعد المدرسة حلقة وصل حيوية تجمع بين المعلم والطالب، وتشكل بيئة تعليمية تعمل على تعزيز القدرات الفردية والجماعية على حد سواء، فالتقدم الذي يحرزه الطالب في مختلف الجوانب، سواء كان ذلك في مهارات القراءة والكتابة أو في التطور الجسدي والعقلي، يعكس مدى التأثير الإيجابي للمدرسة على الأفراد والمجتمع ككل، هذا التقدم لا يعكس فقط نجاح العملية التعليمية، بل يبرز الدور المحوري للمدرسة في تنمية الأفراد الذين يُعتبرون أساس تقدم المجتمع، وقد أشار هوراس مان إلى هذه الحقيقة بقوله: "حيثما ينمو شيء، فإن مؤسسًا أو منشئًا واحدًا يعادل ألف مصلح أو مجدد." وهذا يعزز فكرة أن المدرسة ليست مجرد مؤسسة تعليمية، بل هي قوة محركة تسهم في بناء مجتمع متقدم ومزدهر عبر الاستثمار في تعليم وتنمية الأفراد (ديوي،2002، 55).

إذا نظرنا إلى أعمال الخشب والمعدن والحياكة والخياطة والطباعة على أنها وسائل للعيش والتعلم بدلاً من كونها مواد دراسية منفصلة يجب حفظها، ندرك عندئذٍ أهميتها الاجتماعية باعتبارها عمليات تُمكِّن المجتمع من تنظيم نفسه وتلبية احتياجاته الأساسية، ومن هذا المنطلق تصبح هذه الأنشطة وسائل حيوية تُعطي الطفل فرصة لاكتساب مهارات عملية تعكس احتياجات الحياة المجتمعية، مما يحوّل المدرسة إلى نموذج مصغر للمجتمع الفعّال، بدلاً من أن تكون مجرد مؤسسة معزولة تقتصر على تعليم المناهج الدراسية، وعلى هذا الأساس، يتمثل معيار القيمة الحقيقية في المجتمع في نوعية العمل المقدم ومدى إسهامه في خدمة المجتمع، وليس في كمية المعلومات التي يحفظها الأفراد، فالقيمة الحقيقية للعمل تُقاس بمدى تأثيره الإيجابي على المجتمع وقدرته على تحقيق التقدم والتنمية (ديوي،2006، 31).

وترى الباحثة أنه يجب أن تُنظم المدرسة نفسها وفق منهج وقاعدة اجتماعية تعتمد على مبدأ الضبط، الذي يهدف إلى تعزيز روح التعاون الاجتماعي بين الأفراد، هذه التنظيمات تُساعد في تهيئة الطلاب ليصبحوا أعضاء فاعلين في مجتمعهم، يتمتعون بمهارات عملية وشعور عميق بالمسؤولية الاجتماعية، مما يساهم في بناء مجتمع متماسك ومتقدم.

عمل جون ديوي على جعل كل مدرسة تعيش حياة اجتماعية مصغرة، أو حياة اجتماعية في بدايتها، تكون فعالة من خلال أنواع المهن التي تعكس حياة مجتمع أكبر، كما يجب أن تتقدم المدرسة بروح من الفن والتاريخ والعلم. فعندما تقدم المدرسة كل طفل إلى عضوية المجتمع، وتدربه داخل مجتمع صغير من هذا النوع، فإنها تجعله يتشرب روح الخدمة وتزوده بأدوات التوجيه الذاتي الفعال، وبذلك

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

نحصل على أعمق وأحسن ضمان لمجتمع أكبر يتميز بالقيمة والحسن والانسجام (ديوي،2002، 62).

يرى ديوي أن المدرسة وجدت من أجل الطفل وليس العكس. ففي كتابه "مدارس المستقبل"، ينوه بأفكار رجال التربية مثل روسو، قائلًا: "لعل روسو كان أول من أدرك أن عملية التعليم ما هي إلا ضرورة، وأنها جزء من عملية أخرى هي عملية النمو وحفظ الذات. فإذا أردنا إذن أن ندرك كيف تتم العملية التعليمية التربوية بنجاح كامل، وجب علينا أن نتجه إلى خبرات الأطفال حيث تكون عملية التعلم ضرورة، لا أن نتجه إلى خبرات المدرسة وتجاربها التي هي زخارف إلى حد بعيد، ومسائل شكلية سطحية، بل لعلها عملية فرض لا يرحب بها الأطفال ولا يتقبلونها بقبول حسن." (ديوي،2002، 66).

ولذا الإصلاح التربوي الذي يركز عليه جون ديوي يتمثل في جعل الطفل محور العملية التربوية وليس المدرسة، وهذا ما أشار إليه في كتابه "المدرسة والمجتمع" بقوله: "نرى التغير المقبل في تربيتنا هو تحول مركز الجاذبية، فهو تغير ثوري أو ثورة ليست غريبة عن تلك التي أحدثها كوبرنيكوس عندما تحول المركز الفلكي من الأرض إلى الشمس. ففي هذه الحالة، يصبح الطفل الشمس التي تدور حولها تطبيقات التربية." (ديوي،2006، 28).

وعلى الرغم من تأكيد ديوي على أهمية الطفل، إلا أننا نرى أن هذا لا يعني إغفال دور المدرسة وخبراتها، فهو يرى أن المدرسة بدون هدف أو غرض تفقد قيمتها، لذلك فإن النظرة التربوية الناجحة هي تلك التي تشارك في الحياة الاجتماعية وتحقق توازنًا بين الظروف الداخلية (مثل حاجات الطفل من نشاط ولعب وراحة) والظروف الموضوعية (مثل تنظيم الإدارة ومواد الدراسة)، فالعجز عن تكييف المادة لتلائم حاجات الأفراد وقدراتهم قد يؤدي إلى أن تصبح الخبرة غير تربوية، كما أن عجز الفرد عن التكيف نفسه للمادة قد يؤدي إلى نفس النتيجة.

وبالتالي فإن التنسيق بين الظروف الباطنية (الداخلية) والموضوعية (الخارجية) هو الذي يحقق الغرض أو الهدف من التربية، لذا فإن الدور الأساسي للمدرسة هو إحداث توافق بين خبرات الطفل المختلفة وتدريبه على حل المشكلات التي تواجهه.

4- أسس عملية التعليم عند جون ديوي

كان من الطبيعي أن يهتم جون ديوي برسم ملامح العملية التعليمية بحيث تسير وفق خطوات تتماشى مع منهج التفكير العلمي، وفي هذا السياق يمكن تلخيص الخطوات الأساسية التي تشترك فيها الطريقة البراغماتية في التعليم وطريقة التفكير العلمي على النحو التالي: (ديوي،2006، 29)

أولاً: ينبغي أن يجد الطالب نفسه في وضع خبرة حقيقية تنشأ عنه مشكلة تمثل دافعًا للتفكير، ويتحقق هذا الشرط عندما يكون النشاط الذي يفرضه الموقف بعيدًا عن الرتابة أو الاستجابات العشوائية المؤقتة، فالوضع التعليمي يجب أن يوفر خبرات جديدة وغير مألوفة للطالب، بحيث تثير لديه تساؤلات ومشكلات تحتاج إلى معالجة، وهو ما يخلق الحافز نحو التفكير والبحث.

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

ثانيًا: بما أن التفكير يعتمد في أساسه على الحوادث والحقائق، فإنه من الضروري أن يستند الطالب إلى الوقائع الموضوعية في محاولاته لحل المشكلات التي يواجهها، فالعملية التعليمية لا تنفصل عن الواقع، بل تستمد قوتها وفعاليتها من استثمار الحوادث والحقائق المتاحة.

ثالثًا: رغم أهمية الوقائع في البحث العلمي، فإنها وحدها لا تكفي؛ إذ تفتح هذه الوقائع آفاقًا لاقتراحات وأفكار جديدة تتجاوز ما هو قائم في الحاضر، وهنا يظهر دور الخيال في البحث العلمي، كما في العملية التربوية، حيث يسهم الخيال في الانتقال من الحقائق المتوفرة إلى مجالات جديدة مليئة بالإبداع والابتكار.

رابعاً: أن الأفكار تظل ناقصة ما دامت أفكارًا، ومن هنا فهي مؤقتة ومن قبيل الاقتراحات. والتطبيق وحده هو محك اختبارها، وهو الذي يلبسها لباس الحقيقة ويكسبها كمال المعنى، لذلك كان من الضروري منح المدرسة فرصًا لتجريب الأفكار واختبار صحتها، كأن تُجهَّز المدارس بالمعامل والورش والمسارح، لكي تزوّد التلاميذ باتجاهات إيجابية كالتحرر من التعصب والانحياز، وتركيز الاهتمام داخل الفصل الدراسي على تحمل المسؤولية الأخلاقية، فكثير من الناس يعتنقون مبادئ معينة، ثم يهربون منها عندما تواجههم مشكلة، والمدرسة أحيانًا تسهم في إيجاد مثل هذه العادة السيئة لدى التلاميذ، إذ تقدم لهم مواد دراسية بعيدة عن خبراتهم وفوق مستوى مداركهم، والأمر مهم أيضًا في الحياة المدرسية أن نجرب أفكارنا ونفحصها ونلبسها لباس الحقيقة والواقع.

ولذا يمكن إيضاح أهم الأفكار التربوية لجون ديوي في كتابه المدرسة والمجتمع فيما يلي:

- **ربط المدرسة بالمجتمع:** حيث تعتبر المدرسة جزءًا لا يتجزأ من المجتمع، وتعمل على إعداد الأفراد للمشاركة الفعالة في الحياة الاجتماعية.
- **التربية عملية حياتية:** التربية ليست مجرد إعداد للمستقبل، بل هي عملية حياة تركز على الاهتمام بالموضوعات العملية والخبرات الحياتية.
- **العلاقة بين الديمقراطية والتربية:** حيث يرى ديوي أن التربية يجب أن تعكس قيم الديمقراطية مثل المساواة والحرية والعدالة.

من هذا المنطلق يتبين لنا أن جون ديوي يرى أن المدرسة تعكس مستوى التطور الاجتماعي، وقد أحدثت هذه النظرية تأثيرًا دائمًا على المدارس الأمريكية. فقد أكد ديوي على أن التعليم ليس مجرد عملية نقل للمعرفة، بل هو أداة لتطوير المجتمع وتعزيز الديمقراطية. من خلال تركيزه على التعلم التجريبي والتعليم القائم على الخبرة، ساعد ديوي في تحويل المدارس إلى أماكن تشجع الطلاب على التفكير النقدي وحل المشكلات والتعاون، هذه الرؤية جعلت المدارس أكثر ارتباطًا بحياة الطلاب اليومية واحتياجات المجتمع، مما ساهم في تكوين مواطنين فاعلين وقادرين على المساهمة في بناء مجتمع أكثر عدلاً وتقدمًا.

5- التوجيه الاجتماعي للتربية

لعل ذلك الإلحاح الملحوظ لدى ديوي للإيضاح وتوثيق الصلة بين الفلسفة والتربية هو مظهر يريد من خلاله أن يبين أنه على وعي بوظيفة الفلسفة الاجتماعية، وما

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

اختياره للتربية كمعمل لاختبار صحة الآراء والمبادئ الفلسفية إلا تأكيد لقدرة التربية على التغيير والتحويل في عالم يكاد الفكر فيه يعجز عن ملاحقة ما يحدث من تحول وتغير، ويرى ديوي "أن التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشري، بمقتضاها يصبح المرء وريثًا لما كوّنته الإنسانية من تراث ثقافي، وبالتقليد والمحاكاة تتحقق التربية الاجتماعية بطريقة لا شعورية، وبحكم معيشة الفرد في المجتمع، يتحقق للحضارة الإنسانية الانتقال من جيل إلى آخر، والتربية المقصودة تتطلب دراية بنفسية الطفل من جانب، وحاجات المجتمع من جانب آخر (ديوي،1989، 71).

إن فلسفة جون ديوي في التربية ترتكز على الدمج المتوازن بين الجانب الاجتماعي والجانب الطبيعي، حيث يمثل الجانب الاجتماعي الجسر الذي يحوّل السلوكيات الطبيعية ويمنحها بعدًا إنسانيًا. وفي هذا السياق، يشير ديوي إلى الدور الحيوي للاتصال في بناء الخبرة وتشكيلها ونقلها بين الأجيال، فالأطفال بطبيعتهم غير الناضجة، يعتمدون على توجيه الكبار ودعمهم لمواجهة التحولات والتحديات الحياتية.

ويؤكد ديوي على هذه الفكرة بقوله إن "بني الإنسان يولدون قليلي النضج إلى درجة أنهم لو خُلوا لأنفسهم دون توجيه الآخرين وعونهم، ما تمكنوا من الحصول حتى على أيسر الكفايات اللازمة لحياتهم المادية." من هنا يعزز ديوي أهمية المشاركة الجماعية الحرة باعتبارها ميزة أساسية للمجتمع الديمقراطي الذي تسعى التربية إلى تحقيقه، فالمشاركة الجماعية ليست مجرد وسيلة للتفاعل الاجتماعي، بل هي ضرورة لاستمرار الحياة الجماعية، تمامًا كما يُعد الغذاء والتناسل ضروريين لاستمرار الحياة الفسيولوجية، ولهذا السبب شدّد ديوي على العلاقة العضوية بين التربية والحياة، معتبرًا أن التربية هي الحياة ذاتها وليست مجرد إعداد للحياة، ومن خلال هذا التلازم، يظهر سعي ديوي إلى بناء تصور جديد لطبيعة الحياة، حيث تصبح التربية أداة لإثراء الخبرات الإنسانية وتعزيز قدرات الأفراد على التكيف والإبداع في مواجهة التغيرات المجتمعية (ديوي،2002، 74).

ويمكننا القول أن جون ديوي تعلم من كل الفلسفات التربوية التي اطلع عليها، فأعاب على بعضها وثمن بعضها الآخر، وعدل ما أمكن تعديله، واستطاع أن يرسم معالم فلسفته التربوية الجديدة، والتي أقامها على أسس اجتماعية ونفسية وأخلاقية وعلمية، بغية تكوين الفرد الليبرالي والمجتمع الديمقراطي، فربط الفلسفة بالتربية، ثم ربط التربية بالحياة العملية ومشكلاتها وتحدياتها، وفي هذا الربط تجلت أفكاره التربوية ومناهجه الإصلاحية التي تعتبر من أبرز نظريات التربية الجديدة، والقائمة على مبدأ الاهتمام بالمتعلم الذي هو أساس كل تربية ناجحة.

وجدير بالذكر أنه على الرغم من إسهامات ديوي التي جعلته يرتقي إلى مرتبة الفلاسفة العظماء من خلال إدخاله روحًا جديدة إلى الفلسفة الحديثة عن طريق مناهجه الإصلاحية التربوية، وتأكيده على مثل الديمقراطية ودعوته إلى توسيع الأساليب العلمية في الشؤون الإنسانية وفي التربية بصفة خاصة، إلا أن ما قدمه في هذا المجال وإن لقي صدى كبيرًا اليوم، إلا أنه واجه الكثير من الرفض والانتقاد في حينه.

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

6- النقد الموجه لجون ديوي

إن الكنيسة الكاثوليكية، التي كانت تشرف على عدد كبير من المدارس في الولايات المتحدة الأمريكية، لم تسلم ببعض آراء جون ديوي في التربية والتعليم. كما أن هذه الكنيسة ترفض من الأساس الفلسفة البراغماتية التي يمثلها جون ديوي، وتسير على هدى الفلسفة المثالية بدلًا من ذلك، فهناك أيضًا عدد من المربين الأمريكيين الذين وقفوا ضد جون ديوي وعارضوا آراءه التربوية، ومن أشهر هؤلاء وليم سي. باكلي، الذي كان أحد أعضاء لجنة مونرو، حيث كان باكلي يرى أن عملية التربية هي عملية نقل التراث الأساسي والمحافظة على الجذور الثقافية، والتمسك بالقيم والمثل الروحية الأساسية، مع التأكيد على ألا يحول ذلك كله دون تطور المجتمع وتقدمه (بحري، قطيشات،2009، 120).

ومن بين المعارضين لآراء جون ديوي في مجال التربية والتعليم الدكتور هتشينز، رئيس جامعة شيكاغو سابقًا، وآخرون، وهؤلاء يرون أن عملية التربية هي عملية نقل التراث من الجيل القديم إلى الجيل الجديد، وتدريب أبناء الجيل الجديد على التفكير من خلال الدراسات الأساسية التي ثبتت فائدتها، مثل الفلسفة والمنطق والرياضيات والدراسات الإنسانية، وقد هاجم هتشينز نوع التربية التي يدعو إليها ديوي في كتابه الشهير "التعليم العالي في أمريكا" (بدران، شبل؛ البوهي،2001، 92).

إن المنطلقات التي تعتمد عليها التربية لدى ديوي، رغم ما فيها من عيوب قد لا تتماشى مع الطابع العقائدي والثقافي للعديد من المجتمعات، إلا أنه يجب أخذ ما فيها من محاسن تفيدنا في حاضرنا ومستقبلنا، هذه المحاسن ترسمها بصمات ديوي التربوية التي لا يمكن إنكارها بأي حال من الأحوال، ولعل ما تركه من مؤلفات تملأ مكتبات العالم خير دليل على مدى إسهاماته الكبيرة في ميدان التربية. بالإضافة إلى ذلك، فإن طرقه التربوية ورؤاه العلمية للمدرسة وجميع أنشطتها تحتوي على ما يمكن أن يفيد منظوماتنا التربوية إذا ما أحسنا فهمها واستخدامها (الخواجا،2011، 67).

ونحن نعيش في عصر التقدم والتكنولوجيا، ونشعر بأهمية العلم ونلاحظ مدى اقتحامه لكل مجالات الحياة، هذا ما يجعلنا في حاجة إلى فلسفة تربوية معينة تهدف إلى خلق مجتمع يساير تطورات العصر ويتمسك بهويته وثقافته، ويمكن أن نستفيد مما قدمته الفلسفة البراغماتية في الميدان التربوي، بالأخذ بالدعائم العلمية الأساسية من فلسفة جون ديوي التربوية، والتي تركز على دعامتين أساسيتين لهما التأثير الكبير على كل المجتمعات وفي كل مجالات الحياة، وهما: الإيمان بالديمقراطية والأسلوب العلمي في التربية (بدران، شبل؛ البوهي،2001، 96).

7- مفهوم التجديد الفلسفي المعاصر

يشير مفهوم التجديد الفلسفي المعاصر إلى الجهود الفكرية التي تُبذل لإعادة صياغة الأسئلة والقضايا الفلسفية، أو تقديم إجابات جديدة ومغايرة لتلك التي طرحتها الفلسفات التقليدية، بحيث تُواكب التحولات المعرفية والعلمية والاجتماعية والسياسية التي يشهدها العالم في العصر الحديث. ولا يقتصر التجديد الفلسفي على مضامين

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

الفكر، بل يشمل أيضاً مناهجه وأدواته، في محاولة لتجاوز الجمود أو التكرار الذي قد يطبع بعض الاتجاهات الفلسفية الكلاسيكية (علي،2005، 37).
ينبع هذا التجديد من الوعي بأن الواقع المعاصر – بخصائصه المعقدة مثل العولمة، وتكنولوجيا الاتصال، والذكاء الاصطناعي، والأزمات الأخلاقية والبيئية – يفرض على الفلسفة أن تطور أدواتها التحليلية والنقدية، وأن تتفاعل مع العلوم الأخرى، خاصة العلوم الإنسانية والاجتماعية، من أجل فهم أعمق للوجود الإنساني المعاصر (النجيحى،2002، 94).

المبحث الثاني: تحليل الفلسفة التربوية عند جون ديوي

تحليل الفلسفة التربوية عند جون ديوي وفق رؤية التجديد الفلسفي المعاصر للتربية والتعليم يجب أن يُدرس في المدارس، مع التركيز على الطرق التي تُدرس بها، وذلك على أساس تكوين الروح العلمية في التلاميذ، فالتعليم لم يعد مجرد مسألة تتعلق بالديمقراطية كهدف يجب تحقيقه أو خطأ يجب تجنبه، لأن مطالبة الناس بممارسة أسلوب حياة قائم على فلسفة التربية، في رأي ديوي، يتطلب بالمقابل أن نمنح لهؤلاء الناس إمكانية معرفة وتعلم معنى هذا الأسلوب وكيفية تطبيقه في مجالات الحياة المختلفة.
بمعنى آخر لا بد أن تُوكل إلى مؤسسات التربية مهمة تعليم الناس، ويكون ذلك عن طريق المدرسة الديمقراطية بمختلف أبعادها، مع التركيز على عناصر العملية التربوية التالية:

1- بناء الأهداف التربوية

لقد ركز جون ديوي على أن الهدف الأساسي من التربية هو تمكين كافة أفراد المجتمع من خلال "النمو المستمر"، الذي يتحقق عن طريق الاتصال المتبادل بين أفراد المجتمع والتوزيع العادل للمصالح المشتركة بينهم. وذلك من خلال الرغبة في تجديد تكوين العادات والمؤسسات الاجتماعية، أي تحقيق توازن عادل في العلاقات الاجتماعية، مما يؤدي إلى وجود مجتمع ديمقراطي. ويوضح ديوي ذلك في قوله: "إن الغرض من التربية المدرسية هو ضمان استمرار التربية بتنظيم القوى أو القدرات التي تضمن النمو. والميل إلى التعلم من الحياة نفسها، وجعل شروط الحياة بحيث يتعلم الجميع في سباق الحياة، ذلك هو أفضل ثمار التربية المدرسية." (ديوي،2008، 41).
فالأهداف عند ديوي يجب أن تنبع من العمل وتقوم بوظيفتها فيه، وهي ليست غايات بمعنى نهايات للعمل على الإطلاق، بل هي نهاية للمداولات الفكرية ونقاط تحول في النشاط. بهذا لم يقم ديوي بتقديم أهداف محددة ودقيقة للعملية التعليمية، بل جعلها مفتوحة على عدد لا محدود من الأهداف، لأنه يعتقد بأن الهدف متغير حسب الظروف، لذلك يرفض وضع أهداف نهائية وعامة ذات طابع ثابت تُفرض على المعلمين لتحقيقها مع المتعلمين.
ويربط ديوي بين الوسيلة والهدف، ويرى أن تطور الهدف يعني تطور وسيلة تحقيق ذلك الهدف، الأمر الذي يؤول إلى تطوير الحياة. ولابد من مراعاة اختيار الوسائل

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

بشكل صحيح عند التفكير في صياغة الأهداف، والتي لابد وأن ترتبط بالواقع، حيث يعطي جون ديوي للأهداف التربوية الديمقراطية الجديدة بعض السمات التي لابد وأن تتميز بها، أهمها: (ديوي،2008، 61)

- **أن يكون الهدف نابعًا من الشروط والأحوال الراهنة:** أي أن يتوافق مع الواقع الحالي واحتياجات المجتمع.
- **أن يتميز بالمرونة والقابلية للتشكيل والتغيير حسب الحاجة:** بحيث يمكن تعديله وفقًا للظروف المتغيرة.
- **أن يقوم الهدف على أساس مراعاة وتحرير الأنشطة والاحتياجات الذاتية والباطنية لمن يراد تربيتهم:** أي أن يراعي احتياجات المتعلمين الداخلية ويحرر طاقاتهم.
- **القابلية للترجمة (أي للتطبيق):** عن طريق أسلوب التعاون واقتراح البيئة المناسبة لتحرير قدراتهم وإمكانياتهم، وذلك لاختبار مدى صحة وقيمة الهدف المنجز.

والهدف عند ديوي يتضمن النشاط المنظم والمرتب، لأن إنجازه لا يتم بطريقة عشوائية، وإنما يتحقق بطريقة ذكية وواعية، وليس كآلية أوتوماتيكية، فالفعل بهدف هو بعينه "الفعل الذكي"، حسب تعبير ديوي، على أن الأهداف القائمة على أسس ديمقراطية ينبغي أن تنبثق من داخل العملية التعليمية ومن النمو الحر للقائمين عليها، لا أن تكون مفروضة من سلطات خارجة عن النظام التربوي لتحقيق مصالحها عن طريق توجيه تلك الأهداف وفق مبادئها. أي أن ديمقراطية بناء الأهداف التربوية عن طريق مشاركة وإشراف الأفراد الداخلين في العملية التعليمية يعتبر المخرج الأساسي للوصول إلى ديمقراطية التربية بشكلها العام.

وبما أن الخبرة تشكل محور العملية التربوية، فإن الهدف التربوي ينبغي أن ينبع من خبرة المتعلم، وتوجيهه لتنمية تلك الخبرة تبعًا لاستعداداته وظروف حياته، بدلًا من أن يفرض من خارج ظروفه.

2- المعلم

يعتبر المعلم الديمقراطي في نظر جون ديوي المرشد والموجه للتلاميذ، من خلال فهم قدراتهم وإمكانياتهم والعمل على تشجيعها، ولا يمثل عليهم دور السلطوي أو القائد الذي يكتفي بحشو عقولهم بمجموعة من المعلومات، بل عليه أن يعلمهم استراتيجيات التعلم وطرق التفكير، ويعمل على تطبيق مبادئ الديمقراطية في صفوف تلاميذه. وذلك من خلال عقد الاجتماعات، خاصة تلك التي تعقد بين المعلمين والطلبة، من أجل بحث حاجاتهم ومراعاة آرائهم وتوقعاتهم، ودعم مشاركتهم في حل مشاكلهم المرتبطة بواقعهم (ديوي،2008، 76).

ويوضح ديوي ذلك في قوله: "إن المربي الذي يعتقد أن مشكلات الديمقراطية مشكلات حقيقية فعلاً، يرى أن الضرورة الحيوية تظهر بوضوح أمام عينيه في شيء واحد، وهو تلك العلاقة بين الطفل وبيئته، بحيث تكون علاقة متكاملة ذكية واعية على قدر الإمكان، لخير الطفل وصالح الجماعة والمجتمع في وقت معًا"، فالمربي الديمقراطي يعمل جاهدًا من أجل فهم المتعلم فهمًا جيدًا، من خلال إتاحة الفرصة لكل طفل لإظهار مكنونات نفسه والتعبير عن احتياجاته، ولن يستطيع بالتالي أن يشعر

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

بالأمل في أن يطور أي طريقة من الطرق التعليمية التربوية بحيث تصل إلى المستوى العلمي أو الفني، إلا إذا فهم الطفولة وأسرارها، ولسوف يجد المعلم أن تلقائية التلميذ وحيويته ودوافعه الخلاقة كلها معينات له في تدريسه، بدلًا من أن يعتبرها عوامل إزعاج ينبغي كبتها (ديوي،2006، 43).

ولهذا نجد أن العديد من الأفكار التي قدمها جون ديوي، فيما يتعلق بضرورة الاهتمام بميول الطفل واستعداداته، والعمل على تشجيعه على الإبداع والخلق من خلال منحه مساحة من الحرية تمكنه من التعبير عن احتياجاته واستغلال قدراته، كانت متأثرة بمجموعة من فلاسفة التربية الحديثة والمصلحين التربويين، من أبرزهم صاحب النظرية الطبيعية في التربية "جان جاك روسو"، وأصحاب النزعة النفسية في التربية مثل "فروبل" و"ماريا مونتيسوري" و"بستالوتزي"، حيث أشار ديوي إلى نظرياتهم في التربية بشكل واسع في كتابه "مدارس المستقبل"، مشيدًا بأعمالهم.

ويعد الانتقال من الطريقة التلقينية إلى الطريقة الحوارية في التعليم، أصبح الأمر أساسيًا في ديمقراطية التعليم، التي تهدف في آخر المطاف إلى تحقيق قدرة المتعلم على الفهم والإدراك، وحل المشكلات، وتقبل وجهات النظر بين أطراف العملية التربوية. ففي الطريقة التلقينية في التدريس، يعتبر المعلم المصدر الوحيد الذي يملك المعرفة، وبدونه يفقد التلميذ سبل التعلم، لذلك كان لابد من الانصياع لأوامره والخضوع لسلطته العقابية الواسعة، سواء بمدلولها الجسدي أو المعنوي. وهذا يكرس مفهوم "الأنا السلطوي" (المعلم) وينفي "الآخر" (المتعلم)، الأمر الذي يبعدنا عن أساسيات الديمقراطية والحرية (ديوي،2002، 77).

3- **المتعلم**

ينتقد جون ديوي بشدة المناهج الدراسية التقليدية لطريقتها في التعامل مع الطفل، حيث ترى أنها تقمع قدراته الإبداعية وتحد من ثقته بنفسه وقدرته على النجاح، ففي هذه المناهج يقتصر دور الطفل على "إعادة سرد الدروس كما هي في الكتاب المقرر"، دون أي مساحة للتفكير النقدي أو الإبداع، والفضائل التي تُغرس في الطالب الناجح في هذا النظام هي الطاعة والخنوع والانقياد، وهي فضائل سلبية لا تعزز النمو الشخصي أو الفكري (ديوي،2002، 84).

ويشير ديوي إلى أن هذا النمط التربوي يعتمد بشكل كامل على التلقين والحفظ، حيث تُهمش قدرات مثل الخيال والذكاء والتجربة العملية، بينما تُعلى من شأن الذاكرة وحدها، هذا الأسلوب وفقًا لديوي، لا يتناسب مع طبيعة الأطفال التي تميل إلى حب الاستطلاع والاستكشاف، بل يذهب إلى أبعد من ذلك، معتبرًا أن هذا النوع من التربية التقليدية هو انعكاس للمجتمعات الأوتوقراطية، حيث يتم تدريب الأفراد على الطاعة العمياء بدلًا من تشجيعهم على التفكير المستقل والمشاركة الفعالة، حيث يقول: "التربية التقليدية التي تعتمد على الطاعة والامتثال تُعدّ الأطفال ليكونوا أفرادًا خاضعين، وهو ما يتناسب مع مجتمع أوتوقراطي لا يُعلي من شأن الحرية أو الديمقراطية (ديوي،2008، 67).

في حين أن فلسفة التربية الديمقراطية تراعي ميول الطفل وتجعله يتعلم ويعمل بدافع حبه للعمل ورغبته الشخصية، وليس بدافع الحصول على مكافأة أو خوفًا من العقاب،

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

فإنها تعزز لديه الفضائل الإيجابية مثل القدرة على الإبداع والخلق، وبذل الجهد لتحقيق النجاح، كما أنها تساعده على إدراك قيمة العمل في ذاته، والتي تمثل "قيمة أخلاقية" لأنها نابعة من دوافع أخلاقية؛ أما المجتمع التقدمي، فيرى أن التنوعات الفردية هي شيء ثمين، حيث يجد فيها وسيلة لنموه الخاص. لذلك، يجب على المجتمع الديمقراطي، كي لا يتناقض مع مثله الأعلى، أن يسمح بالحرية الفكرية وينشط المواهب المتباينة والاهتمامات المختلفة في تدابيره التربوية، وهذه الحرية تعد عاملاً إيجابيًا وفعالًا في نمو الأطفال والتلاميذ من الناحيتين العقلية والأخلاقية، لأن الطفل بهذه الطريقة يفهم لينتقل إلى خبرات أعلى، ويتعلم منها قيمًا وحقائق جديدة بتوسيع نطاق اهتماماته وخبراته، والهدف الحقيقي من ذلك هو تحقيق قيمة تربوية مهمة تتمثل في إدراك الطفل لقيمة ما يقوم به بنفسه (ديوي،2002، 34).

4- المادة الدراسية

تعتبر المادة الدراسية في المنهج التربوي الحديث مجموعة من الأنشطة والخبرات التي يقوم بها المتعلم في المدرسة بتوجيه من المعلم، مما يعني أنها تعكس جميع جوانب الحياة النشطة والفعالة، لذلك يرى (ديوي، 2008، 73) ضرورة ربط المواد الدراسية بمختلف الأنشطة البشرية ذات البعد الاجتماعي، لأن الهدف الأساسي من تدريسها ليس مجرد استيعابها كمواد تقنية جافة لا فائدة منها، بل توسيع نطاق نشاط المتعلم وتجاوز حدود التخصص الضيق، مشيرًا إلى أن عزل المادة الدراسية عن سياقها الاجتماعي هو العاقبة الرئيسية للممارسة التقليدية في التدريس، وعندما ينفصل الفن والأدب والدين بهذه الطريقة، تصبح ضيقة الأفق مثل الأمور التقنية التي يعارضها أنصار التربية العامة.

لذا، ينبغي أن يكون المنهج التربوي قائمًا على الخبرات الحياتية والتجريبية التي يعيشها التلاميذ، وأن يركز على جميع المواد الدراسية دون فصل بينها، حيث تمثل وحدة متكاملة تجمع بين المواد العلمية والعملية والجمالية والدينية والأخلاقية والعقلية. هذه المعرفة لا تُقصد لذاتها، بل لمنفعتها في حل المشكلات الاجتماعية والتغلب على الصعوبات التي تواجه التلاميذ.

من خلال فلسفته الداعية إلى "التعلم بالعمل"، يرى ديوي أن من واجب المدرسة أن تربط المواد الدراسية بالحياة المعاشة والخبرة المباشرة للمتعلمين، حيث أوضح (ديوي،2008، 74) يجب أن تقدم المدرسة أعمالًا لا تجعل الطلاب أقوياء جسديًا وأخلاقيًا فحسب، ولا تعطيهم الاتجاه الصحيح تجاه بلادهم وجيرانهم فقط، بل يجب أن تزودهم أيضًا بالمهارات الكافية التي تمكنهم من السيطرة على بيئتهم المادية، ليصبحوا مستقلين اقتصاديًا، كما أن الهدف من هذه الأعمال ليس قيمة المنتجات التي يتم تسويقها، بل تحقيق الاستقلالية وتعزيز النزعة الاجتماعية.

يقدم (ديوي،2006، 64) أمثلة على الأنشطة التي ينبغي أن تقدم للطفل في المدرسة، مثل الخياطة، الطبخ، أعمال الخشب، والبناء، وغيرها، والهدف الأساسي من هذه الأعمال هو التأكيد على ضرورة استمرار علاقة المدرسة بالمجتمع، وربط الطفل بواقعه المعاش، وتعزيز قدرته على تعلم المواد التطبيقية بدلًا من التركيز فقط على الجانب النظري، بالإضافة إلى ذلك توفر هذه الأنشطة فرصة للطفل لربط المواد

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

الدراسية ببعضها البعض، مع توظيف المواد الأساسية مثل الكتابة، القراءة، والحساب.
لذلك يمكننا القول أنه يجب أن يلبي المنهج التربوي كل حاجات الطفل واستعداداته وميوله، وأن يراعي في تصميمه تطوره وتغيره وفقًا لمتطلبات هذا النمو، فالطفل هو محور العملية التربوية، وهو العنصر الواعي في عملية التفاعل مع البيئة والممارس الفعال لتلك الخبرة،
وفي نفس السياق يرى (ديوي،2002، 84) أن المادة والطريقة اللتين ينبغي أن تستخدما، يجب أن تكونا – في ذاتهما – مادة حية وطريقة بالغة الأهمية، بحيث تستطيعان أن تمثلا للطفل تلك الطبيعة المعقدة والمتشابكة تمثيلًا صادقًا، أي تمثلان طبيعة العالم الذي يعيش فيه تمامًا. والطفل والمنهج هما القوتان العاملتان، كل منهما ينمو ويتطور، وكل منهما يؤثر في الآخر تأثيرًا مباشرًا.
ولهذا ينبغي اتباع الأسلوب العلمي لتحقيق التوازن مع البيئة وإثراء الخبرة وتعميقها، بحيث يصبح التفكير جوهرها ومضمونها المرتبط بالواقع، هذا الأسلوب يمثل طريقة حياة وعمل، بعيدًا عن التفكير التأملي المجرد، فالمنهج التربوي المتبع في مدرسة ديوي وهو جزء من المنهج العلمي، الذي يجب أن يتبع المبادئ الأساسية لعملية البحث والتجربة العلمية. إذ يولي ديوي أهمية كبيرة للعلم كوسيلة لتحقيق أهدافه الديمقراطية.
ومما لا شك فيه أن طبيعة العلم الحقيقية تسمح بتنوع الآراء وتعددها، وتترك المجال مفتوحًا للنتائج المحصل عليها، وترفض فكرة الحقيقة المطلقة أو النتيجة الوحيدة الثابتة، بل إن طبيعة العلم تدعو إلى النسبية والتغير، وهي حقيقة تتفق بشكل كبير مع أسس المنهج الديمقراطي، لذلك يجب على التربية أن تستفيد من معطيات جميع العلوم في مناهجها وأبحاثها، سواء كانت علومًا طبيعية أو إنسانية واجتماعية، حتى تكون ممارساتها متوافقة مع القيم الديمقراطية الحقيقية والعلاقات الإنسانية، كما يجب أن تكون أكثر ارتباطًا باحتياجات المنتمين إليها، وأكثر تشجيعًا لروح الإبداع والابتكار والتفكير الحر، والتعاون، ونبذ كل أشكال السلطة التسلطية التي تقيد حرية الفكر والعمل.
وباختصار يمكننا أن نؤكد وجه نظر جون ديوي في تحقيق الأساس الروحي للديمقراطية هي من تضمن التقاء أقوى دوافع النشاط الإنساني في التربية المدرسية، وهذه الدوافع تتمثل في:
- **دافع العطف والحنان:** الذي يتجلى في إحاطة الطفل بالحب الصحيح والتجرد من العواطف الكاذبة.
- **الدافع الاجتماعي:** الذي يتفتح في نظم المدرسة وحياتها الاجتماعية، مع الاهتمام بسعادة المجتمع الخارجي وإصلاحه.
- **الدافع العلمي والعقلي:** الذي يظهر في الاهتمام بالمعرفة العلمية وبالحقيقة لذاتها، دون أن تعوقها أو تشوهها أي اعتبارات سياسية أو دينية.
ويؤكد ديوي أن تعاون هذه القوى الثلاثة – النفسية والاجتماعية والعلمية – هو ما يحقق المثل الأعلى للديمقراطية في المدرسة، أي أن الاهتمام بتوجيه كل من الجانب

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

النفسي والاجتماعي والعلمي نحو تحقيق الديمقراطية هو الطريق الأمثل لبناء مجتمع متوازن ومتقدم.

تحليل الباحثة للفلسفة التربوية عند جون ديوي

أولًا: تحديد الأفكار المتضمنة في مؤلفات جون ديوي

يتناول هذا القسم أهم المفاهيم التربوية التي عرضها جون ديوي في فلسفته وتتمثل أبرز هذه الأفكار فيما يلي:

1. **المدرسة الديمقراطية:** يرى ديوي أن المدرسة يجب أن تعكس المجتمع الديمقراطي، وتكون أداة لتعليم الناس معنى هذا الأسلوب من الحياة وتطبيقه.
2. **الأهداف التربوية:** دعا إلى أهداف تربوية مرنة، نابعة من الواقع، ومتغيرة وفق الظروف، تربط بين الوسائل والأهداف وتنبثق من خبرة المتعلم.
3. **دور المعلم:** المربي الديمقراطي هو موجّه ومرشد لا سلطة مستبدة، يشجع المتعلم على التفكير، ويتيح له التعبير عن نفسه وفهم حاجاته.
4. **دور المتعلم:** الانتقال من الطاعة إلى المشاركة، ومن التلقين إلى التفكير، إذ يُنظر إلى الطفل بوصفه فاعلًا نشطًا يجب أن تُراعى اهتماماته وحريته.
5. **المادة الدراسية:** يجب أن تكون متصلة بالحياة، وتجريبية، وتتكامل فيها المواد النظرية والعملية، من خلال مبدأ "التعلم بالعمل".

ثانيًا: تفسير الأفكار التي تم تحديدها

ترى الباحثة أن تحليل دلالات هذه المفاهيم التربوية من خلال ربطها بالسياق الفلسفي والاجتماعي الذي صيغت فيه:

1- **الديمقراطية كفلسفة تربوية** حيث يرى (ديوي،2002، 110) أن الديمقراطية ليست مجرد نظام سياسي، بل هي أسلوب حياة متكامل يجب أن يتغلغل في جميع جوانب العملية التربوية. ويؤمن بأن المدرسة تشكل الوسيط الأساسي لتنشئة الأفراد على القيم الديمقراطية، من خلال تدريبهم على الحوار، والمشاركة، وتحمّل المسؤولية، والعمل الجماعي. فالتربية الديمقراطية، في نظره، تسهم في بناء مجتمع قادر على التفاعل الإيجابي، وتحقيق العدالة الاجتماعية والتكافؤ في الفرص التعليمية.

2- **التجريبية التربوية**: تنبع فلسفة ديوي التربوية من الفكر البراغماتي الذي يضع التجربة الحياتية في صلب عملية التعلم، فهو يؤكد أن الخبرة الشخصية للمتعلم، إلى جانب تفاعله مع بيئته، تمثل الإطار الحقيقي لاكتساب المعرفة وتطوير المهارات. ويرى أن التعلم الحقيقي لا يتم في عزلة عن الواقع، بل يتطلب انخراطًا مباشرًا في مواقف حياتية حقيقية، بحيث تصبح المعرفة نتيجة لتجريب عملي ونشاط تطبيقي يخدم حاجات الفرد والمجتمع (ديوي،2008، 65).

3- **المرونة في الأهداف التربوية**: يعارض ديوي مفهوم الأهداف التربوية الثابتة والمحددة سلفًا، معتبرًا أن الأهداف يجب أن تكون مرنة ومفتوحة وقابلة للتغيير وفقًا للسياق والظروف المتغيرة. ويؤكد أن الهدف ليس غاية نهائية بل هو نقطة انطلاق للفعل الذكي، أي النشاط الواعي المنظم. ويجب أن تنبع الأهداف من حاجات

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

المتعلمين وخبراتهم، مع مراعاة أن الوسيلة والهدف مترابطان ويتطور أحدهما بتطور الآخر، ما يجعل من العملية التربوية مسارًا متجددًا للنمو والتكيف مع المتغيرات(الخواجا،2011، 98).

4- **نظرة ديوي للمعلم والمتعلم**: يُولي ديوي أهمية خاصة للعلاقة التربوية بين المعلم والمتعلم، حيث يرى أن المعلم ينبغي أن يكون موجهًا وميسرًا، لا سلطة آمرة أو ناقلًا للمعرفة فقط. كما يشدد على دور المتعلم بوصفه كائنًا فاعلًا يمتلك القدرة على التفكير والمشاركة والتعبير عن ذاته، ويهدف ديوي إلى تكوين شخصية مستقلة، قادرة على التفاعل مع المجتمع بشكل واعٍ وفعّال، وهو بذلك يرفض النمط التقليدي في التعليم الذي يكرّس التبعية ويقمع روح المبادرة لدى المتعلم (ديوي،2006، 113)

ثالثًا: نقد الأفكار ومناقشتها

ترى الباحثة أن نقد الأفكار من وجهة نظرها لهذه الأفكار في ضوء الفلسفة التربوية المعاصرة:

1. تؤخذ على ديوي المثالية المفرطة أحيانًا في تصوره للمدرسة الديمقراطية، فقد يصعب تحقيق مشاركة حقيقية للطلاب والمعلمين في نظم تعليمية مركزية.
2. غياب التحديد الدقيق للأهداف قد يؤدي إلى ضبابية في التخطيط التربوي، ما يتعارض مع متطلبات الإدارة الحديثة.
3. بالرغم من تركيزه على التجريبية، فإن هناك قصورًا في الجوانب المعرفية المجردة، إذ يتم تهميشها لصالح الخبرة المباشرة.
4. مفهوم الحرية عند ديوي مثالي، وقد يُساء فهمه في المؤسسات التعليمية إذا لم يُضبط بتوازن بين الانضباط والحرية.

رابعًا: استنباط نتائج من الأفكار التي تم نقدها ومناقشتها

من خلال التحليل السابق يمكن استخلاص مجموعة من النتائج التي تمثل إضافات تجديدية قابلة للتطبيق في واقعنا التربوي:

1. ضرورة إعادة بناء المناهج التعليمية على أساس الخبرة، مع الاهتمام بالربط بين الجوانب النظرية والتطبيقية في المواد الدراسية.
2. أهمية تدريب المعلمين على مبادئ التربية الديمقراطية، وبخاصة مهارات التواصل، وتفعيل الحوار التربوي، وفهم حاجات المتعلمين.
3. تعزيز فكرة أن المدرسة امتداد للمجتمع، مما يتطلب مشاركة فعلية للمتعلم في صناعة الأهداف والقرارات التعليمية، وتنمية الحس الاجتماعي لديه.
4. تطوير رؤية جديدة للهدف التربوي تقوم على النمو المتكامل للطفل وليس الحفظ أو الطاعة، مع اعتماد الأهداف المتغيرة والمرنة بحسب حاجات المتعلم وسياقه.
5. ضرورة دمج المبادئ الفلسفية الحديثة مثل النسبية، والتعدد، والتكامل بين المعرفة، في صلب النظام التعليمي العربي ليواكب متطلبات العصر.

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

خاتمة البحث

يمكننا أن نختم هذه الورقة البحثية بالإشارة إلى أن فلسفة التربية عند جون ديوي أحدثت انقلابًا جوهريًا في حقل التربية، خاصة في ظل عالم يتغير بسرعة مذهلة ويواجه تدفقًا معرفيًا وتكنولوجيًا هائلًا، لقد قدمت هذه الفلسفة للنظم التعليمية العربية إطارًا فلسفيًا وتربويًا يمكنها من التحرر من الجبرية المقيتة، وإعادة الاعتبار للعقل الفردي والإرادة الحرة.

وبهذا يمكن لمنظوماتنا التربوية في العالم العربي أن تستفيد مما قدمته التربية التقدمية، من خلال جعلها مرجعية فلسفية لنظامها التربوي، مع ضرورة تهذيبها وفقًا لخصوصيات كل بيئة عربية من حيث ثقافتها وطابعها الاجتماعي من جهة، والمتطلبات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية الراهنة من جهة أخرى، فبإمكاننا أن نأخذ منها ما يساعد على تطوير المنظومة التربوية في العراق، بتجاوز الممارسات التقليدية والاتجاه نحو الأساليب الجديدة والمتطورة والعلمية، كدعامة عصرية لعمليات التدريس.

ومع ذلك يجب الحرص على الحفاظ وتعزيز الجوانب التي تُعتبر بمثابة العمود الفقري في البنية الثقافية للشخصية الوطنية العراقية، وهذا المسعى يعد طبيعيًا لكثير من المجتمعات اليوم، التي تسعى إلى تحقيق التوازن بين الأصالة والمعاصرة في مسيرتها التربوية.

وبعد استعراض وتحليل الفلسفة التربوية عند جون ديوي في ضوء رؤية التجديد الفلسفي المعاصر، يمكننا استخلاص أن هذه الفلسفة تقدم إطارًا متكاملًا للتعليم الحديث يركز على النمو الشامل للفرد والمجتمع، حيث تتميز أهداف التربية عند ديوي بمرونتها وارتباطها الوثيق بالواقع الاجتماعي والثقافي، حيث تنبع من احتياجات المتعلمين وخبراتهم الحياتية ولا تُفرض من الخارج، وهذه الأهداف تعزز النمو المستمر للفرد والمجتمع، وتشمل الجوانب النفسية والاجتماعية والعلمية، مما يجعلها قادرة على التكيف مع التغيرات السريعة في العالم المعاصر.

وفي فلسفة ديوي، يلعب المعلم دور المرشد والموجه، وليس مجرد ناقل للمعرفة، فهو يعمل على تحرير طاقات المتعلمين وإطلاق إبداعاتهم من خلال توفير البيئة المناسبة للتعلم وتعزيز التفكير، فالمعلم الديمقراطي يفهم احتياجات المتعلمين، ويساعدهم على تحقيق أهدافهم الشخصية والاجتماعية، مما يجعل العملية التعليمية أكثر تفاعلية وفعالية.

أما المتعلم، فيعتبر محور العملية التربوية في فلسفة ديوي، حيث يتم التركيز على تنمية قدراته الإبداعية والتفكيرية، ويؤكد ديوي على أهمية التعلم النشط القائم على الخبرة المباشرة، مما يمكن المتعلم من التفاعل مع بيئته وفهمها بشكل أعمق، أما المتعلم في هذه الفلسفة ليس مجرد متلقٍ سلبي، بل مشارك فعال في بناء معرفته وتطوير مهاراته، مما يعزز استقلاليته وقدرته على حل المشكلات.

أما في إطار المادة الدراسية في فلسفة ديوي ليست مجرد معلومات جافة، بل هي نشاط حيوي يرتبط بحياة المتعلمين اليومية، حيث يتم ربط المواد الدراسية بالأنشطة العملية والتجارب الحياتية، مما يجعلها أكثر فائدة وأقرب إلى الواقع، وهذا النهج

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

يشجع على تكامل المواد الدراسية وربطها ببعضها البعض، مما يعزز فهم المتعلمين للعالم من حولهم ويجعل التعليم أكثر تشويقًا وفعالية.
في الختام، تظل فلسفة جون ديوي التربوية مرجعية قوية لتطوير المنظومات التربوية في العالم العربي والعالم أجمع، من خلال بناء أهداف تربوية مرنة، وتعزيز دور المعلم كمرشد، وتمكين المتعلم من التفاعل النشط مع بيئته، وربط المادة الدراسية بالحياة العملية، يمكن للنظم التعليمية أن تتجاوز الممارسات التقليدية وتتبنى أساليب أكثر تطورًا وفعالية، مع مراعاة الخصوصيات الثقافية والاجتماعية لكل بيئة، يمكن لهذه الفلسفة أن تكون دليلًا نحو تحقيق تعليم أكثر ديمقراطية وشمولية.

توصيات البحث

- دراسة الأسس الفلسفية لديوي من حيث تحليل مفاهيم "التعلم عن طريق العمل" و"التجريبية" وربطها بالديمقراطية والتنمية الاجتماعية.
- استكشاف تأثير أفكاره على التعليم التقدمي والتعلم القائم على المشاريع في عصر التكنولوجيا، حيث ربط ديوي بالتجديد المعاصر.
- تحليل رؤية ديوي للمدرسة كمختبر للديمقراطية وتطبيقاتها في التعليم الحديث، والاستفادة منها.
- يتم تطبيق مبادئ فلسفته بشكل عملي بما يتناسب مع واقعنا.

المراجع

المراجع العربية

1. بحري، منى يونس؛ قطيشات، نازك عبد الحليم. (2009). *في التربية المقارنة: دراسات نوعية*. المملكة الأردنية الهاشمية. عمان، الأردن: دار صفاء.
2. بدران، شبل؛ البوهي، فاروق. (2001). *نظم التعليم في دول العالم: تحليل مقارن*. القاهرة، مصر: دار قباء.
3. الخواجا، عبد الفتاح محمد. (2011). *مستقبل التعليم الحديث: التحديات وتكنولوجيا المعلومات الحديثة*. عمان، الأردن: دار المستقبل.
4. ديوي، جون. (1986). *الديمقراطية والتربية* (ترجمة متى عفراوي وزكريا ميخائيل). القاهرة، مصر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
5. ديوي، جون. (1989). *المبادئ الأخلاقية في التربية* (ترجمة عبد الفتاح السيد هلال، مراجعة أحمد فؤاد الأهواني). القاهرة، مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة.
6. ديوي، جون. (2002). *مدارس المستقبل* (ترجمة عبد الفتاح المنياوي). القاهرة، مصر: مكتبة النهضة المصرية.
7. ديوي، جون. (2006). *المدرسة والمجتمع* (ترجمة أحمد حسن الرحيم، مراجعة محمد ناصر). بيروت، لبنان: دار مكتبة الحياة.
8. ديوي، جون. (2008). *الخبرة والتربية* (ترجمة محمد رفعت رمضان ونجيب اسكندر). القاهرة، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

9. سمعان، صادق. (1996). *الفلسفة والتربية: محاولة لتحديد ميدان فلسفة التربية*. القاهرة، مصر: دار النهضة العربية.
10. علي، سعيد إسماعيل. (2005). *فلسفات تربوية معاصرة*. الكويت: سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب.
11. ناصر، محمد. (1997). *قراءات في الفكر التربوي* (الجزء الأول، الطبعة الثالثة). الكويت: وكالة المطبوعات الكويت.
12. النجيحى، محمد لبيب. (2002). *مقدمة في فلسفة التربية*. بيروت، لبنان: دار النهضة العربية.

ترجمة المصادر والمراجع العربية : Arabic sources

1. Ali, S. I. (2005). *Contemporary educational philosophies*. National Council for Culture, Arts and Letters (Kuwait).
2. Al-Khawaja, A. M. (2011). *The future of modern education: Challenges and modern information technology*. Dar Al-Mustaqbal.
3. Al-Najihi, M. L. (2002). *Introduction to the philosophy of education*. Dar Al-Nahda Al-Arabiya.
4. Badran, S., & Al-Buhy, F. (2001). *Educational systems in world countries: A comparative analysis*. Dar Qibaa.
5. Bahri, M. Y., & Qutishat, N. A. (2009). *Comparative education: Qualitative studies—The Hashemite Kingdom of Jordan*. Dar Safaa.
6. Dewey, J. (1986). *Democracy and education* (M. Afravi & Z. Mikhail, Trans.). Committee for Authorship, Translation, and Publication Press. (Original work published 1916)
7. Dewey, J. (1989). *Moral principles in education* (A. F. Hilal, Trans.; A. F. Al-Ahwani, Rev.). Egyptian House for Authorship and Translation. (Original work published 1909)
8. Dewey, J. (2002). *Schools of the future* (A. Al-Minyawi, Trans.). Nahdat Misr Library. (Original work published 1930)
9. Dewey, J. (2006). *School and society* (A. H. Al-Rahim, Trans.; M. Nasser, Rev.). Dar Maktabat Al-Hayat. (Original work published 1899)
10. Dewey, J. (2008). *Experience and education* (M. R. Ramadan & N. Iskandar, Trans.). Anglo-Egyptian Library. (Original work published 1938)
11. Nasser, M. (1997). *Readings in educational thought* (Vol. 1, 3rd ed.). Kuwait Publications Agency.

DOI: https://doi.org/10.64940/jfath/2025.29.4.10

12. Samaan, S. (1996). *Philosophy and education: An attempt to define the field of philosophy of education*. Dar Al-Nahda Al-Arabiya.

المراجع الأجنبية References

13. Sidney, H.(2010). *Education for Modern Man*, the Dial Press, Cambridge & New York.